محاضرات في مقياس النص الأدبي القديم

قسم الشعر

- اسم الأستاذة: د/ رشيدة كلاع
- المقياس: نص أدبي قديم (قسم الشعر)
- السنة: أولى ليسانس
- التخصص: /
- النوع: محاضرة
- الفوج: المجموعة الأولى

المحاضرة 1:

الشعر العربي القديم تاريخا وجغرافيا

كان العصر الجاهلي منبعا لشعر لا يزال مَعِينا لا ينضب للدراسة والبحث، وموضوعا يخوضه الدارسون بحثا عن خباياه وأسراره، بوصفه البداية المؤسسة لعصور الشعر العربي التي تلت هذا العصر.
قبل الولوج إلى الحديث عن الشعر الجاهلي لابد من تحديد الأطر التي نشأ فيها هذا الشعر.

1- الإطار الزماني:

أطلق لفظ **"الجاهلية"** على العصر الذي سبق مجيء الإسلام والذي حدده المؤرخون بـ : **مائة وخمسون** عاما قبل البعثة النبوية. أما ما قبل هذه الفترة يمكن تسميتها بالجاهلية الأولى، وهي الحقبة التي تكاملت فيها اللغة العربية، وورثنا عنها الشعر الجاهلي، وهو ما أشار إليه الجاحظ في قوله: "أما الشعر العربي فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريقة إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام". [1]
أما ما قبل هذه الفترة التي حددها الجاحظ بمائة وخمسون عاما قبل البعثة فهي مجهولة لدينا لم يصلنا منها أي شيء أو إنتاج أدبي. ومن ثم فهو "يخرج عن هذا العصر الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي، واللغة الجاهلية، والذي تكامل فيه نشوء الخط العربي وتشكله تشكلا تاما" [2] وبذلك فالعصر الجاهلي محدد بتلك الفترة التي عبر عنها الموروث الأدبي شعره ونثره.

أطلقت كلمة **"جاهلية"** للدلالة على السَّفَهِ والغضب والنزق، وهي صفات سادت المجتمع آنذاك، وبالتالي فهي ليست مرادفا للجهل والأمية. ويقابل لفظ (الجاهلية) لفظ (الإسلام) الذي يدل على الخضوع والطاعة لله عز وجل.

تعددت المواضع التي وردت فيها كلمة "الجاهلية"، فمن القرآن الكريم نستشهد بقوله تعالى: "قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" البقرة 67، وفي قوله : "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" الأعراف 199، فقد وردت في الآيتين بمعنى الطيش والغضب، أما في الحديث النبوي الشريف فقد وردت في قوله – صلى الله عليه وسلم – لأبي ذر وقد عَيَّر رجلا بأمة : "إنك

امرؤ فيك جاهلية" [3] . وهو المعنى ذاته الذي ورد في بعض أشعار العرب نحو قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجاهلية كلمة أُطلقت على العصر السابق للإسلام، لما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها: **العصبية، الأخذ بالثأر، اقتراف المحارم....**

2- الإطار المكاني:

موطن العرب هو شبه الجزيرة العربية، وتقع في الجنوب الغربي لآسيا. يحيط بها الماء من ثلاث جهات لذلك سميت بشبه الجزيرة. يحدُّها من **الغرب** البحر الأحمر، من **الجنوب** المحيط الهندي، ومن **الشرق** بحر عمان وفارس ونهر الفرات. أما من **الشمال** فتحدها نجد وهي أرض متسعة تشمل بلاد الشام وفلسطين.
لعل شبه الجزيرة العربية هي الأكبر على الإطلاق من حيث المساحة؛ حيث "تبلغ مساحتها مليونين وخمسمائة وستين ألف كلم^2"
قسمت شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام هي:

1- اليمن القديمة: اشتهرت بالمناخ الجيد والتربة الخصبة. والغنى الوافر وذلك بجبالها الداخلية، التي تصدم الرياح الموسمية الجنوبية فتسقط أمطارها وتتوافر الغلات، لكن ليس بها أنهار دائمة الجريان.

2- الحجاز: إقليم رملي جبلي، لكن به أودية تمتلئ بالسيول زمن الأمطار ثم تختفي مياهها، وهو قليل المياه، لكن به بعض الآبار والعيون، ومناخها معتدل في بعض الجهات مثل: الطائف. أما على العموم فهو شديد الحرارة. وأشهر مدن هذا الإقليم: **مكة والمدينة المنورة** ...

3- تهامة: وهي سهل ساحلي شديد الحرارة، راكد الريح منخفض. أهم مدنها: **جدة والينبع.**

4- نجد: إقليم مرتفع مشهور بمراعيه الجيدة للخيول العربية الأصيلة وغيرها.

5- اليمامة أو العروض: تشمل ما يعرف بالبحرين أو بلاد هجر وكانت بلادا خصبة منتجة.

لما كانت بلاد العرب قاحلة في مجملها، باستثناء بلاد اليمن وعمان وبعض الوديان المنتشرة هنا وهناك، فقد أسهمت هذه الظروف في تقسيم بلاد العرب إلى قسمين كبيرين:

- جنوب متحضر.
- وشمال في نجد والحجاز يعيش أهله حياة بدوية (رحلا)

ظهرت فروق واسعة بينهما، إلا ما تسرّب إليها من الحضارات المجاورة في العراق والشام.

3- ظروف المجتمع الجاهلي:

أ- الظروف الاجتماعية:

شكلت القبيلة لبنة المجتمع العربي قبل الإسلام، فهي قوامه، وتتألف القبيلة من ثلاث طبقات اجتماعية هي:

- **الطبقة الأولى:** هم أبناء القبيلة الذين تجمعهم صلة الدم/النسب، وهي الصلة الأساسية ذات الأولوية في القبيلة. من ثم كانت هذه الفئة عماد القبيلة ونواتها.
- **الطبقة الثانية:** تضم العبيد الذين يُؤتى بهم من البلاد المجاورة وبالذات الحبشة.
- **الطبقة الثالثة:** تضم طبقة **"الموالي"** وتتكون هذه الطبقة من عتقاء القبيلة. الخلعاء الذين نفتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم، وخياناتهم. والذين كان يعلن عن نبأ خلعهم في المجالس والأسواق حتى يعلم به الجميع، ويتناقلونه فيما بينهم. فيضطرون إلى اللجوء إلى قبائل أخرى فتجيرهم فيصبحون أفرادا منها أو يتمردون ويعيشون حياة الذؤبان مثل ما فعل الصعاليك.

  ويعد ولاء الفرد للقبيلة كبيرا؛ حيث يستميت أفرادها في الذود عنها وعن شرفها حتى ولو كانت ظالمة.

سادت المجتمع الجاهلي جملة من الخصال الحميدة، التي ما فتئ العربي يعتز ويفخر بها: الحِلم، الكرم، الوفاء، إغاثة الملهوف، المروءة... كما كان اعتزازهم بالشجاعة والفروسية عظيما؛ لما شغلته من حيّز هام في حياتهم، بيد أن هذا لا ينفي تفشي أخلاق وعادات سيئة بينهم نحو: شرب الخمر، استباحة النساء، القمار، وأد البنات، شيوع الأخذ بالثأر، هذا الأخير الذي تسبب في حروب دامت أمدا طويلا نحو **حربي: البسوس، وداحس والغبراء**. وقد جاء الإسلام ليحارب هذه العادات السيئة، ويحول دون استمرارها.

ب- الظروف الاقتصادية:

تباين المستوى الاقتصادي الذي كان يعيشه العربي، بسبب المناخ القاسي لشبه الجزيرة العربية. فقد عرفت الزراعة في الجنوب والشرق وواحات الحجاز مثل: **يثرب، خيبر، الطائف**. فيما عاش أهل مكة على التجارة، إذ كانت قوافلهم تحمل البضائع بين حوضي المحيط الهندي والبحر المتوسط. أما سكان المدن والقرى/الحضر فيعيشون مستقرين -بعكس أهل البادية- يمارسون التجارة والزراعة والصناعة "فالحضر هم سكان المدن، الذين يتوفرون على نصيب من الحضارة، ويزاولون الزراعة والتجارة. وقد تركوا لنا آثارا كشف عنها التنقيب الحديث، فدلتنا على كثير من مظاهر حياتهم وعلى علو كعبهم في ميدان التقدم والرقي. وأسسوا مسالك لهم في جنوب البلاد العربية، كمملكتي: **معين وسبأ** وغيرهما. وفي شمالها أقاموا مملكة **لخم** في العراق، ومملكة **غسان** في الشام. كما تحضر القرشيون لمجاورتهم للبيت الحرام، ولإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، ولمزاولتهم التجارة"

أما البدو فقد سكنوا الخيام/بيوت الشَّعر، معتمدين على رعي الأغنام والأنعام؛ بحيث يتبعون مهاطل المطر، ومواطن تواجد الماء والكلأ "فهم أغلب سكان شبه الجزيرة العربية ... ولأن المناخ العربي يغلب عليه المحل والتقشف والكساد، وقد دعاهم ذلك كله إلى أن يعيشوا على ما تنتجه ماشيتهم، وخاصة إبلهم عيشة التنقل والترحال. يقتاتون من لحم الماشية والإبل، ويشربون ألبانها، ويلبسون أصوافها، ويتخذون من أوبارها وأشعارها أثاثا ومساكن لهم، يتنقلون بها مع سوائمهم وراء الكلأ والمراعي، بينما يحتقرون الصناعة والزراعة والتجارة والملاحة ...."

أسهم الموقع الجغرافي لبلاد العرب في جعلها صلة ربط بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، مما بوأها لأن تكون معبرا للقوافل التي تحمل البضائع ومعها حضارة وثقافة تلك البلاد.

كما كان عرب الجنوب يمارسون التجارة بين الهند ومصر وبحر الروم.

ب- الظروف الأدبية:

كان للشعر أهمية كبرى في حياة العرب قبل الإسلام، فاحتفائهم به كبير، إلى درجة بوأته لأن يكون ديوانهم، الذي يحملونه أفكارهم وعواطفهم وآمالهم، كما كان سجلا لعاداتهم وتقاليدهم.

تباينت مضامين هذا الشعر الذي تناول الأحوال الفكرية والاجتماعية للمجتمع الجاهلي، من شاعر إلى آخر، وبحسب الأغراض والموضوعات التي ينظمون فيها.

من أهم الأغراض الشعرية في العصر الجاهلي:

1- الفخر: وهو تباهي الشاعر بنفسه وقبيلته أو بقومه، أو بصفة من الصفات الحميدة. فقد فرضت الصحراء بقوانينها على العربي مجموعة من الفضائل على الشاعر العربي، فأخذ يفخر بالنسب، والبطولة والأمجاد، والشجاعة، والكرم، والوفاء، والنخوة....

الفخر نوعان:

أ- فخر فردي: وهو فخر الشاعر بنفسه، نحو قول عنترة:

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الْكُماةُ نـزَالَـــــهُ لا مُمْعِنٍ هَـرَبَاً وَلا مُـسْتَسْـلِمِ

جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعاجِلِ طَعْنَةٍ بُمثَقفٍ صَدْقِ الْكُعوبِ مُقَوَّمِ

فالشاعر يعتز بقدرته على منازلة الفرسان والتفوق عليهم.

ب- بفخر قبلي: يشيد فيه الشاعر بشجاعة قبيلته وقوتها، وانتصارها على أعدائها.كقول الأعشى مفتخرا بقبيلته **"بكر"** عند وقوفها في وجه كسرى:

وجندُ كسرى غداةَ الحنوِ صبحهمْ مِنّا كَتائبُ تُزْجي المَوْتَ فانصَرَفُوا

وَخَيلُ بَكْرٍ فَما تَنفَكّ تَطحَنُـــــهمْ حتى تولوا، وكادَ اليومُ ينتصـــفُ

2- الحماسة: هو الشعر الذي قالته العرب في وصف شجاعتهم، وخصالهم في حروبهم. والدعوة إلى الأخذ بالثأر، والانتقام من العدو. وتحريك عزائم الأبطال في الحروب.

الحماسة من أهم الموضوعات التي نظم فيها شعراء ما قبل الإسلام، مفتخرين ببطولاتهم، وعدم خوفهم من الموت، ودفاعهم عن شرف القبيلة.

كانت الحماسة سجلا تاريخيا لتلك المفاخر العربية من ذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته، مفتخرا بانتصارات قومه:

مَتَى نَنقُلُ إِلَى قَـومٍ رَحَانَـــــا يَكُونُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَـــا

يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرقِيَّ نَجـــــدٍ وَلُهوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجمَعِينَـــــا

نُطَـاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّـا وَنَضْرِبُ بِالسِّيُوْفِ إِذَا غُشِيْنَـا

3- المدح: وفيه يشيد الشاعر بخصال الممدوح كالجود، إغاثة الملهوف، الشجاعة، رفعة النسب .... والمدح من الأغراض التي نظم فيها الشعراء بكثرة. وقد اتخذه بعضهم وسيلة للكسب، ونيل العطايا نحو: **النابغة الذبياني** الذي عرف بمدحه للنعمان بن المنذر، والأعشى ... وغيرهم من الشعراء.

ومن أمثلة هذا الغرض مدح **زهير بن أبي سلمى** للحارث بن عوف وهرمة بن سنان بعد إصلاحهما بين قبيلتي عبس وذبيان بعد حرب داحس والغبراء بافتدائهما القتلى من الطرفين؛ حيث يقول:

يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْرَمِ

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ

4- الهجاء : هو نقيض المدح، وفيه يعبر الشاعر عن سخطه، ونفوره من بعض الخصال. قام الهجاء الجاهلي على نبذ الرذائل منها: **الجبن، البخل، السفه** ... وقد يوجه إلى فرد، أو جماعة، فيجردهم الشاعر من كل الفضائل والصفات الحسنة.
يركز الشاعر في هجائه على الجانب الخُلقي، فيتحدث عن الجبن، الكذب، السفه، الخداع ... أو على الجانب الخَلقي فيتناول عيوب الجسد: كطول الأنف أو قصر القامة، أو بشاعة الخلقة .... وفي كليهما إنقاص من قيمة الفرد وشأن القبيلة.

كان الهجاء سيفا يصوّبه الشاعر على خصومه، وخصوم قبيلته، فينتقص من مقامهم. وقد كانت بعض الخصومات بين القبائل سببا في كثرة شعر الهجاء. ما جعل أذاه أكثر من السيف عند كثير من الناس. من ذلك هجاء المتلمس الضبعي لعمرو بن هند ملك الحيرة ناعتا إياه بالغدر والخيانة قائلا:

أطردتني حذَرَ الهجاءِ ولا والـلاتِ والأنصابِ لا تَـئِـلُ

وَرَهَنــتَني هِنداً وَعِرضَكَ في صُحُفٍ تَلوحُ كَأَنَّها خِلَـــــــلُ

شَرُّ المُلوكِ وَشَرُّها حَسَبــاً في الناس مَن عَلِموا وَمَن جَهِلوا

الغَدرُ وَالآفاتُ شيمَتُـــــهُ فافهَم فَعُـرقوبٌ لَـــهُ مَثَـــــــلُ

وبذلك فقد دار هجاؤهم على كل ما يناقض مثلهم. إضافة إلى الهزائم والانكسارات، التي تكون قد مُنِيَت بها القبيلة في حروبها "ما هي إلا أن يدخل الشاعر في الهجاء، فإنه يُخلِّص القبيلة وأشرافها من كل هذه الفضائل، وما يتصل بها، فهي لا تكرم الجار، ولا تحميه، وتفر من الحروب، وتقعد عن الأخذ بثأرها، ولا يكتفي الشعراء الجاهليون بذلك، بل يتعرضون لمخازي القبيلة في حروبها وأيامها التي وَلَّت على أدبارها فيها منهزمة منكسة الأعلام"

5- الرثاء: هو بكاء الميت والتفجُّع عليه، وإظهار اللوعة لفراقه، والحزن لموته وتعداد مناقبه. الرثاء ثلاثة أقسام:

أ/ الندبة: هي بكاء الأهل والأقارب؛ حيث يتفجَّع الشاعر مبديا لوعة الحزن على موت الفقيد. يغلب عليه البكاء وبث الحزن الشديد.

ب/ التأبين: هو الثناء على الميِّت، وذكر خصاله الحميدة. فيشيد به الشاعر مشيرا إلى منزلته السياسية أو العلمية أو الأدبية. فالشاعر لا يُعبِّر فيه عن حزنه هو، بل عن حزن الجماعة وخسارتها بفقده.

ج/ العزاء: هو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين. يُفكِّر من خلال الشاعر في حقيقة الموت والحياة، وفلسفة الوجود والعدم ...

هذه الأنواع الثلاثة قد تأتي منفردة في القصيدة، وقد تجتمع ثلاثتها في قصيدة واحدة.

وقد ندب بعض الشعراء أنفسهم، عندما أحسوا بقرب أجلهم، واصفين ما يفعله قومهم بعد موتهم، ومن ذلك قول الممزق العبدي:

هَلْ لِلْفَتَى مِن بَناتِ الدَّهْرِ مِن رَاقِي أمْ هَل لهُ مِن حِمام الموتِ مِن وَاقِي

قدْ رجَّلونِي ومَا بالشَّعر مِن شَعَثٍ وألْبَسُونِي ثِيابًا غيرُ أخْـــــــلاقِ

وأرْسَلُوا فِتيةً مِن خَيْرِهم حَسَبًـــا لِيُسنِدوا في ضَرِيحِ القَبْر أطْبَـــاقِي

6- الغزل: وردت كلمة الغزل في لسان العرب بمعنى: "حديث الفتيان والفتيات" أما مغازلة النساء فمعناها: محادثهن والتعبير عن آلام الفراق والشوق، والشكوى من صد الحبيبة أو هجرها، والعتاب على إخلاف المواعيد.
كما نجد في كتب اللغة كلمة أخرى قد تستعمل بمعنى الغزل، وإن رأى بعض الدارسين اختلاف معانيها وهي : الغزل، النسيب، التشبيب.

- **التشبيب:** هو ذكر محاسن المرأة، والإشادة بجمالها، وقد جعلت كتب النقد القديم التشبيب خاصا بمطلع القصائد.
- **النسيب:** يعرفه **قدامة بن جعفر** بأنه "ذكر الشاعر خلق النساء وأخلاقهن وأحوال الهوى معهن"

وهناك من يجعل الغزل والنسيب والتشبيب مترادفات مثل: ابن رثيق، ابن الأثير ....

"كان الغزل موزعا بين ذكريات الشاعر لشبابه ووصفه للمرأة ... حيث كانوا يصفون جسد المرأة بالتفصيل ... كما قد يصفون مغامراتهم معها، وهي مغامرات حوَّلها بعض الرواة إلى قصص غرامية نحو ما قصوه عن حب المرقش الأكبر لأسماء، والمرقص الأصغر لفاطمة بنت المنذر، وحب المنخل اليشكري للمتجردة زوج النعمان "
لم ينفرد الغزل بقصيدة واحدة، فقد كان الشاعر يُعبِّر عن شوقه وهُيامه بمحبوبته. كما كان يُعبِّر عن لوعته، وتأثره لفراقها. وأيضا مغامراته معها. ومعلقة امرئ القيس نموذج على ذلك.

7- الوصف: وصف شعراء ما قبل الإسلام كل ما وقعت عليه أعينهم في الصحراء "فيصفون قطعهم للمسافات البعيدة فوق الإبل، التي يسهبون في وصفها ... كما أكثروا وصف الخيل فشبهوها بأنواع من السباع ذات المخالب الطويلة ... كما أكثروا من وصف الجَدْبِ. ووصفوا الصحراء ومخاوفهم في لياليها من الجنِّ والشياطين ... ووصفوا أيضا الأسلحة والحروب، ووصفوا الخمر وأوانيها، وسقاتها ومجلسها، وأثرها" تتداخل هذه الموضوعات في القصيدة الطويلة، ليكون الوصف عنصرا مشتركا يطغى بحضوره على مختلف القصائد والأشعار.

8- الاعتذار: هو سعي المعتذر/الشاعر لمحوّ آثار ذنبه، مبديا ندمه على ما بدَر منه. جاعلا من اعتذاره مانعا بينه وبين العقوبة، مستجديا العفو. لعل أكثر الشعراء الذين نظموا في هذا الغرض قبل الإسلام هو **النابغة الذبياني** الذي كثرت اعتذارياته، وارتبطت في مجملها بالنعمان بن المنذر، والتي يمدحه فيها كي يستميله، ويكسب عطفه، من ذلك قوله:

أتاني أبيتَ اللعنَ أنكَ لمتنـــي وتلكَ التي أهتمّ منها وأنصـــبُ
فبتُّ كأنّ العائداتِ فرشن لـــي هراساً، به يُعلى فِراشي ويُقْشَـــبُ
لئنْ كنتَ قد بُلغتَ عني وشايةً، لَمُبْلغُكَ الواشي أغَشُّ وأكـــــذَبُ
ولكنني كنتُ امرأً ليَ جانـــبٌ منَ الأرضِ، فيه مستَرادٌ ومطلب
فلا تتركني بالوعيدِ، كأننـــي إلى النّاسِ مَطليٌّ به القارُ، أجْـرَبُ
ولستَ بمستبقٍ أخاً، لا تلمـهُ على شَعَثٍ، أيُّ الّرجال المُهَـذَّبُ؟
فإنْ أكُ مظلوماً؛ فعبدٌ ظلمتهُ وإنْ تكُ ذا عُتَبى؛ فمثلُكَ يُعتـــبُ

9- الحكمة: هي قول نابع عن تجربة وخبرة، ودراية بالأمور ومجرياتها. والحكمة ليست غرضا مقصودا في الشعر، وإنما هي موضوع في قصائد الشعراء. عبَّرت الحكم في شعر ما قبل الإسلام عن التمسُّك بالمثل العليا السائدة في المجتمع الجاهلي؛ إذ ترشد إلى الأخلاق الحميدة، يحمل فيها الشاعر نظرته للحياة. من ذلك قول **زهير بن أبي سلمى**:

سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمَن يَعِـــــش ثَمانينَ حَولاً لا أَبا لَكَ يَســـأَمِ
وَأَعلَمُ عِلمَ اليَومِ وَالأَمسِ قَبلَـــــــهُ وَلَكِنَّني عَن عِلمِ ما في غَدٍ عَمِ
رَأَيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِـــب تُمِتهُ وَمَن تُخطِئ يُعَمَّر فَيَهرَمِ
وَمَن لا يُصانِع في أُمورٍ كَثيـــــــرَةٍ يُضَرَّس بِأَنيابٍ وَيوطَأ بِمَنسِـمِ
وَمَن يَجعَلِ المَعروفَ مِن دونِ عِرضِهِ يَفِرهُ وَمَن لا يَتَّقِ الشَتمَ يُشتَـــمِ

هذه هي الأغراض والموضوعات التي تَنظِم في سِلْكَ القصيدة الجاهلية. يبدؤها الشاعر بالتَّشبيب أو النسيب بالأطلال والديار، يصف أثناء ذلك حُبَّه، ثم يصف رحلته إلى الصحراء ومن ثم ناقته أو فرسِه، ومشاهدة صيده، ليلِج بعد ذلك إلى غرضه من حماسة أو هجاء، أو رثاء أو مديح ... ناثرا بين ذلك حكمه وتجاربه.

المحاضرة:2

المعـــلـــــقـــات

1. تعريف المعلقات:

- **لغة:** هو المال الذي يكرم عليك، تضنّ به. تقول: هذا عِلْقُ مضنَّة وما عليه علقةٌ إذا لم يكن عليه ثياب فيها خير، والعِلْقُ هو النفيس من كلّ شيء والعَلَق هو كلّ ما عُلِّق.

- **اصطلاحا:** المعلقات قصائد جاهليّة بلغ عددها السبع أو العشر، برزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح، حتّى عُدّت أفضل ما بلغنا عن الجاهليّين من آثار أدبية.

العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي واضحة، فهي قصائد نفيسة ذات قيمة كبيرة، بلغت الذّروة في اللغة، وفي الخيال والفكر، وفي الموسيقى وفي نضج التجربة، وأصالة التعبير. لم يصل الشعر العربي إلى ما وصل إليه في عصر المعلّقات من غزل امرئ القيس، وحماسة المهلهل، وفخر ابن كلثوم، إلاّ بعد أن مرّ بأدوار ومراحل إعداد وتكوين طويل.

2. سبب تسميتها بالمعلقات :

يقال: لأن العرب استحسنوا هذه القصائد فكتبوها بماء الذهب وعلّقوها على الكعبة، وهذا ما ذهب إليه **ابن عبد ربّه** في العقد الفريد، **وابن رشيق وابن خلدون** وغيرهم، يقول صاحب العقد الفريد: « وقد بلغ من كلف العرب به(أي الشعر) وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلّقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهّبة امرئ القيس، ومذهّبة زهير. والمذهّبات سبع، وقد يقال: المعلّقات"

أو لأنّ المراد منها المسمّطات والمقلّدات، فإنّ من جاء بعدهم من الشعراء قلّدهم في طريقتهم ، وهو رأي **شوقي ضيف** وبعض آخر. أو أن الملك إذا ما استحسنها أمَرَ بتعليقها في خزانته.

فيما نفى البعض الأخر هذا الأمر، ورفضوا رواية التّعليق، فذهبوا مذاهب كثيرة فقالوا: إنّ حمادة الراوية هو أول من جمع القصائد السبع الطوال وسماها بالمعلقات السموط. وسميت بالمعلقة لأنها تعلَق بالأذهان.

و قد اتفقت الكتب القديمة على أنها سبع، لكن منهم من أضاف قصيدة لشاعر أو أهمل قصيدة أخرى فاحتاروا من هم السبعة فجعلوها عشرا.

3- المعلقات السبع:

- **<u>معلقة امرؤ القيس</u>**:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ	بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

- **معلقة طرفة بن العبد**:

لِخَـوْلَةَ أطْـلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَـــــــدِ	تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

- **معلقة الحارث بن حلزة**:

آذَنَتنَـــــــــــا بِبَينِهـا أسمَـاءُ	رُبَّ ثَـاوٍ يَمَـلُّ مِنهُ الثَّـواءُ

- **معلقة زهير بن أبي سلمى**:

أَمِنْ أَمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لَمْ تَكَلَّـــــمِ	بِحَـوْمَانَةِ الـدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

- **معلقة عمرو بن كلثوم:**

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِيْنَـــــا	وَلاَ تُبْقِي خُمُـوْرَ الأَنْدَرِيْنَـا

- **معلقة عنترة بن شداد العبسي**:

هَلْ غَــادَرَ الشُّعَرَاءُ منْ مُتَـرَدَّمِ	أم هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ

- **معلقة لبيد بن أبي ربيعة العامري**:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلّهَا فَمُقَامُهَـــــا	بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَـا

- يضاف إليها تلك القصائد الثلاث التي لتسمى المعلقات العشر وهي:

- **الأعشى الأكبر:**

ودِّع هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ	وهل تطيقُ وداعاً أيُّها الرجلُ

- **عبيدة بن الأبرص:**

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِـــــهِ مَلْحُـــــوبُ	فَالقُطَبِيّـــاتُ فَالذّنـــــــوبُ

- **النابغة الذبياني:**

يا دارَ مَيّةَ بالعَلْيَاءِ فالسَّنَـــــدِ	أقْوَتْ، وطالَ عليها سالفُ الأبَدِ

4- شروح المعلقات : شرحها:

- أبو بكر محمد القاسم الأنباري (ت 327 هـ)
- أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت 338 هـ)
- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني (ت 502 هـ)

5- بناء المعلقات:

تبنى القصيدة/ المعلقات، على ثلاثة أقسام هي:

مرحلة الافتتاح، مرحلة الرحلة، مرحلة التجزئة الموضوعية.

عندما نستعرض الشعر الجاهلي نجده متشابهاً في أسلوبه، فالقصيدة الجاهلية تبدأ بالوقوف على الأطلال وذكر الأحبة كما نجد ذلك عند امرئ القيس في قوله:

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل بِسَقْطِ اللَّوَى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَل

وينتقل الشاعر الجاهلي إلى وصف الطريق الذي يقطعه بما فيه من وحش، ثم يصف ناقته، وبعد ذلك يصل إلى غرضه من مدح أو غيره. هذا هو المنهج والأسلوب الذي ينتهجه الجاهليون في معظم قصائدهم ولا يشذ عن ذلك إلا القليل من الشعراء.

أ – المقدمة الطللية:

الطلل هو مكون بنيوي في القصيدة الجاهلية؛ حيث يأخذ شكلين :

- **الأول :** مرتبط بالمرجع الواقعي من خلال ما تبقى من آثار متهدمة (مشاهدة حية)
- **الثاني :** الطلل كمرجع فني جمالي، والذي اتخذه الشعراء تقليدا إبداعيا يفرغ من خلاله كل شاعر تجربته الخاصة. مسلطا الضوء على تفاصيله: بقايا الديار، الرماد، الساقية، الحيوانات ... مانحا المكان بعض الحيوية؛ لعله يُعوّض بذالك الفراغ الذي تركته الحبيبة بغيابها "من المعروف أن القصيدة الجاهلية، منذ فترة مبكرة من تاريخها اليقين، خضعت لمنهج ثابت فهي تبدأ في أكثر الأحيان بهذه المقدمة الطللية التي يخرج الشاعر منها إلى وصف رحلة الصحراء، يعرض في أثنائها لوصف ما يراه من حيوانها الوحشي، ثم ينتقل بعد ذالك إلى موضوعه الأساسي".

المقدمة الطللية هي تلك الأبيات التي يستهل بها الشاعر قصيدته الشعرية قبل أن يلج إلى الموضوع الرئيسي في القصيدة.

فقد تكون وقفة من الشاعر على الدمن الدراسة (**المقدمة الطللية**) وبكاء على أحباء مفارقين، أو تصويرا لمشاعر حب جامح يفيض به قلب هذا الشاعر نحو من يهوى، وهو ما عرف **بالمقدمات الأساسية** للقصيدة الجاهلية.

وهناك مقدمات أخرى يمكن وصفها **بالثانوية**، يفتتح بها الشعراء قصائدهم، ويضمنوها حديثا عن الشيب و لشباب، أو ذكر الطيف الذي ألمَّ بهم و أرقهم في نومهم. فكل قصيدة تبدأ بمقدمة طللية، لكن يختلف موضوعها من شاعر إلى أخر "فقد تكون بكاء في الديار والوقوف عليها، أو غزلا بالأحباب وحنينا إليهم، أو وصفا للطيف الطارق، وما يطويه من أرض. أو تهالكا في الشراب وإقبالا نهِمًا على الحياة. أو توجُّعا من الشيب وحزنا على الشباب الذي غبِر. أو حوارا يرسم الشاعر فيه. لنفسه صورة الفتى العربي الذي يدفع بصدره المحن، ويرد عوائم الأيام ..... وقد تكون وصفا للظعائن التي تحمّلت .... ولكل مقدمة صورتها العامة التي تشركها فيها أخواتها، وملامحها الخاصة التي تتميز بها عن سواها".

ومن الملاحظ أن لمقدمة القصيدة في أحيان كثيرة، صلة وثيقة بما يُعرف بالغرض المقصود، الذي يبوح به الشاعر عادة في الأبيات الأخيرة من القصيدة؛ لذا يرى

الباحثون أن مفتاح موضوع القصيدة كثيرا ما تسلمنا إياها مقدمتها مهما كان موضوعها.

ب- الرحـــلة:

يتحدث فيها الشاعر عن الناقة، والصحراء وفلواتها الموحشة، وسرابها الخادع، وحيواناتها.كما تشتمل الرحلة على مشاهد الصيد.

يتوسل الشاعر طرقا مختلفة للتخلّص إلى وصف الرحلة، التي يبدأها بوصف الناقة فيصفها وصفا معنويا أحيانا قليلة، ووصفا حسيا في أغلب الأحيان. ثم يمضي غالبا فيشبهها بالثور الوحشي، ويحكي لنا أطرافا من أخبار هذا الثور، أو بحمار الوحش ويقص لنا جانبا أو أكثر من قصته. أو بالظليم فيقف على طائفة من دقائق حياته و أسرارها. وقد يشبهها بأكثر من حيوان في قصيدة واحدة. فإذا فرغ من قصته وخرج من حضن الصحراء العاري، صار إلى غرض آخر هو المدح أو الهجاء أو الفخر أو غيرها"

هذا يعني أن الرحلة ضربان:

- رحلة الشاعر على ناقته.
- رحلة الظعائن.

وقد يأتي الحديث عن الظعائن/ المرأة المرتحلة في صدر القصيدة، فيكون مقدمة لها، وقد يتأخر قليلا فيلي المقدمة. ولا يعد الحديث عن الناقة أو الظعائن قيدًا فنيا.

ج- الغرض الأخـــير (المقصود):

يتحدد فيه موضوع القصيدة، إذا كان مدحا أو هجاء أو اعتذار أو فخرا ....

المحاضرة:3

شعر الصعاليك

1- تعريف الصعلكة:

أ – **لغة:** ورد في لسان العرب أن الصعلوك هو: الفقير الذي لا مال له، وصعلكه: أفقره، والصعلوك: الفقير ويقال: صعلكته الأيام أي صيَّرته فقيرا.

ب – اصطلاحا: الصعاليك جماعة من الشذّاد العرب، خرجوا عن قومهم ولجؤا إلى القفار والجبال والمغارات، وعاشوا على السلب والنهب. فكانوا يقطعون الطريق ويغيرون على القوافل. يطلق على السود منهم اسم: أغربة العرب. ومن الصعاليك من يطلق عليهم اسم الخلعاء، وهم الذين خلعتهم قبائلهم.

ينقسم الصعاليك إلى فئات ثلاث:

1- فئة الخلعاء الشذاذ: هم الذين خلعتهم قبائلهم بسبب أعمالهم التي لا تتوافق مع أعراف القبائل التي ينتمون إليها مثل: **حاجز الأزدي، وقيس الحدادية**.

2- فئة أبناء الحبشيات: السود ممن نبذهم آباءهم ولم يلحقوهم بأنسابهم مثل: **السليك بن السلكة، وتأبط شراً، والشنفرى.**

3- فئة احترفت الصعلكة احترافاً: وحوّلتها إلى ما يفوق الفروسية، من خلال الأعمال الإيجابية التي كانوا يقومون بها مثل: **عروة بن الورد** (سيد الصعاليك وقبيلتي هذيل وفهم).

2- أشعارهم: قبل أن يكون شعر الصعاليك خروجا عن القبيلة/السلطة، وبحثا عن الحرية، كان خروجا عن نمط القصيدة الجاهلية، وموضوعاتها الجاهزة كثيرة التداول. أقرّ عنترة ذلك من خلال قوله: **"هل غادر الشعراء من متردّم"**. لذلك لا نجد المعجم الطللي في أشعارهم إلا ناذرا.

"المقدمة الطللية ليست طللية فقط، بل هي سنّة فنية، ونفسية يرجو قائلها من ورائها إلى معان عدة" أبى الشعراء الصعاليك حضورها في أشعارهم. هذا الرفض النابع من رفضهم للقبيلة ولكل ما يمثلها، حتى وإن كانت معايير شعرية.

من الطبيعي أن يخالف الصعاليك المجتمع القبلي الذي تمردوا عليه في نمط العيش، وأن يخالفوه ويختلفوا مع فنه، وموضوعاته، وبنية قصيدة شعرائه.

بعيدا عن المفهوم السلبي للصعلكة، برزت إبداعات شعراء مثل: **عروة بن الورد، الشنفرى، السليك بن السلكة، تأبط شرا، أبو خراش الهذلي، وصخر الغني** .... وغيرهم. أحدث انقطاع الصلة بين الصعاليك وبين قبائلهم في نواح عدة: اجتماعية، اقتصادية، سياسية وحتى فنية/أدبية، شرخا ولّد رؤية مختلفة للموضوعات الشعرية التي جادت بها قرائحهم.

فقد وضع الصعاليك معادلا موضوعيا لها، فرضه المحيط الذي يعيشون فيه، وألفوه بطبيعته، ووحشه، وإنسه، وبحكم تلك المغامرات التي يخوضونها وهم يتربصون بالقبيلة وممتلكاتها، وقوافلها التجارية. فجاء شعرهم تعبيرا عن الحياة الجديدة، التي ألفوها بطبيعتها، ووحشها، وتحرروا من سلطة القبيلة وشيوخها.

3- الموضوعات الشعرية: تعددت موضوعات شعر الصعاليك، الذي غلبت عليه المقطوعات، لعل أبرزها ما يلي:

أ/الصحراء: تحوّلت الصحراء عند الشعراء الصعاليك من فضاء جغرافي يسكنونه، ويقضون أغلب أوقاتهم فيه، إلى ألفة ومحبّة لهذا المكان بفعل المعايشة الحقيقية واللصيقة له. لتتحوّل الصحراء إلى "منفذ تعبيري يلوذ إليه الشاعر حين تضيق أمامه الآفاق، وتنغلق السبل"؛ إذ حمّلوها كل ما يمرون به من ضيق وآلام، وما يشعرون به من وحشة. فقد غدت "تحمل من الدلالات الرمزية العميقة مالا يحملها مكان آخر لدى اللصوص. فقفارها، وفيافيها وقسوة حرارتها، ومخاطرها، ووحشها تعني لديهم: الصلابة والخشونة والشجاعة، واليقظة والحذر وغيرها من الدلالات الرمزية الأخرى".

تحوّلت الصحراء في حياة الصعاليك إلى كل شيء، حتى أنها غدت أرواحهم فحمّلوا رموزها دلالات نفسية منطلقها ذات الشاعر المتألمة "ليتحوّل الجدب والجفاف المقترن بالصحراء الموضوعية إلى جدب وجفاف روحيين يحلمان بالارتواء من الصحراء النفسية". فالشاعر الصعلوك لا يشعر بالراحة إلاّ إذا حوّل هذا القهر إلى حياة قد يحسده عليها حتى من هم في قبائلهم.

ب/ الجبل أو المرقية:

ورد في شعر الصعاليك سرد لحكاياتهم عن تربصهم بأعدائهم، وكذا مغامراهم في أماكن غير متضحة من الناحية الجغرافية، بيد أنهم أشاروا إليها بالوصف الدقيق، والتي أطلقوا عليها تسمية: **"المراقب"**، فقد "شغلت المراقب مكانا واسعا في حياة اللصوص وأشعارهم، ذلك لأنّها مكان حصين يحقق للصعلوك غرضين: أحدهما مراقبة طريقه والمكان الذي يحيط به. والآخر يتجسد بحصانته؛ بحيث تتيح له الاختفاء عن أعين الرقباء". فكانت ملجأهم الذي منه يرصدون أعداءهم، ويوجهوا إليهم ضرباتهم في الوقت المناسب. لذا نعتوها بالمنَعَةِ والإباء. كما اختاروا الليل موعدا للجوئهم إليها، لأنّه الأنسب للاختفاء من جهة. وللدلالة على قسوة قلوبهم من جهة أخرى.

وقد وصف **"الشنفرى"** إحدى المراقب التي يلجأ إليها مترصدا قائلا:

وَمَرْقَبَةٍ عَنْـقاءَ يَـقْصُرُ دونَهـــــا	أَخو الضِّرْوَةِ الرِّجْلُ الْحَفِيُّ الْمُـخَفَّـفُ
نَعَيْتُ إلى أَدْنـى ذُراها وَقَدْ دَنـــــا	مِنَ اللَّيْـلِ مُلْتَفُّ الْحَــديقَةِ أَسْـــــدَفُ
فَبِتُّ على حَدِّ الذِّراعَيْن مُجْذِيًـــــا	كَما يَـتَطَوّى الأَرْقَـمُ الْمُتَعَـــــطِّفُ
وَلَيْسَ جَهازي غَيْرُ نَعْلَيْن أَسْحَقَتْ	صُـدورُهـما مَخْصورَةً لا تُــخَصَّف
وَضُنِّيَّةٍ، جُرْدٍ وَإِخْلاقِ رَيْطـــــةٍ	إذا أَنْــهَجَـتْ مِنْ جانِبٍ لا تُــكَفّفُ

فقد ارتقى **"الشنفرى"** إلى أعلى الجبل متخذا منه مرقبة يعجز الآخر عن وصولها. ففي هذه المرقبة العالية تعبير عن تساميه واستقلاله بشخصيته، فهو

يعيش حاضره؛ حيث تعبّر المرقبة عن واقع حياة الصعلكة، دون أن يلتفت إلى الماضي كما يفعل الباكون على الأطلال.

ج/ الوحش: إنّ لجوء الصعاليك إلى الجبال، والفيافي الموحشة، ووديانها المخيفة، أدّى إلى مواجهة وحوشها؛ من ذئاب وضباع وغيرها. فتفننوا في تسمية هذه الوحوش، ووصفوها بأوصاف مثيرة؛ لأنهم ألفوه واستأنسوا بها، بل وصاروا منه، من ذلك قول الشنفرى:

وَلي دونكم أَهْلون: سِيدٌ عَمَلَّسٌ	وَأرْقط زُهْلولٌ وَعَرْفاءُ جَيْأَلُ

فهذا إقرار بالألفة، التي نشأت بينه وبين الذئب والضبع إلى درجة أنهم صاروا مستودع أسرار.

هُمُ الأَهلُ لا مُستَوْدَعُ السِّرِ ذائع	لَـدَيْهِمْ، وَلا الْجاني بما جَـرَّ يُخْـذَلُ

فعالم الشاعر الجديد مكوّن من أفراد عائلته الجديدة المتمثلة في:

ذئب قوي سريع (**سيد عملس**) ونمر مرقط (**أرقط زهلول**) وضبع كثيف الشعر طويل العنق (**عرفاء جيأل**). هذا هو مفهوم الحرية عند الشنفرى، والثورة على القبيلة. والانتماء إلى مملكة الحيوان/ أهله الجدد.

لا تَقْبرُوني، إنَّ قَبْـري مُحَـرّمٌ	عَلَيْكُـــمْ، وَلَكِنْ أبْشـري أمَّ عامِـرِ

- تلخصت موضوعات شعر الصعاليك في:
  1- الشكوى من مرارة الفقر.
  2- التفاخر ببطولاتهم ومغامراتهم.
  3- الإشادة برفاقهم الذين يشاركونهم الغزو.
  4- وصف المراقب التي يتربصون فوقها بأعدائهم.
  5- الإعجاب بأسلحتهم وقيمتها في حياتهم.
  6- الحديث عن معاناتهم وتشردهم في الصحراء.

7- التغني بسرعة عدوهم وأخلاقهم الحميدة (الكرم، الشجاعة، عزة النفس، الصبر على الجوع، وإغاثة الملهوف ...).

فقد أهمل الشعراء الصعاليك:

- صورة الناقة الرمز.
- صورة المرأة الرمز.
- صورة الطلل الرمز.

ليعوّضها بالوحش والجبل والمرقبة، مما ولّد ارتياحا نفسيا عند الشاعر الصعلوك.

4- بنية مقتطعات شعر الصعاليك :

إن المتأمّل في شعر الصعاليك، وموضوعاته "تلفت نظره تلك الوحدة الموضوعية في مقطوعاته وأكثر قصائده؛ بحيث يستطيع أن يضع لكل مقطوعة عنوانا خاصا بها، دالا على موضوعها" فطبيعة الحياة التي يحياها الصعلوك لا تُمهِله للإطالة. فهو في كرٍّ وفرٍ دائمين لذلك كانت موضوعاته "لا تتحمّل الإطناب. فالموضوع الذي يتحدث عنه الشاعر يتعلق بحياته الواقعية والنفسية، والتنقّل بين أجزاء الموضوع، كالتنقّل والعَدْو في فيافي الصحراء. وموضوعات المقطوعات هي موضوعات جزئية. بعضها يتعلّق بقصص المغامرة، أو وصف سرعة العَدِو أو الأنس بحيوانات الصحراء، وبعضها ... يتعلّق بالشعور بالظلم". فطبيعة شعرهم الذي تطغى عليه المقطوعات الشعرية، جعل الوحدة الموضوعية فيه ميزة عامة، لذلك لم تخرج موضوعات هذه المقطوعات عن:

- **العدو والفرار**: وهو من أهم الموضوعات التي ركز عليها الشعراء العداءون. يتباهى من خلاله الشاعر بسرعة عدوه، والتي تمكّنه من الإفلات من المتربصين به. من أمثال هؤلاء **"تأبط شرا**.
- **وصف المرقبة.**
- **الفخر**: الفخر بنفسه وبشجاعته، وقدرته على مصاحبة الذئب... ومن هؤلاء **تأبط شرا، قيس بن الحدادية** ...
- **الرثاء**: مثل رثاء **أبو الطمحان القيني** لنفسه بأبيات ذات وحدة موضوعية.
- **المديح**: من أمثلته مدح **أبي الطمحان القيني** لبني تميم تعبيرا عن امتنانه لكرمهم.

عالجت تلك المقطوعات مختلف جوانب حياة الصعلوك. فكانت ذات موضوع واحد فطغت عليها الوحدة الموضوعية.

المحاضرة: 4

الشعر في صدر الإسلام

منذ مجيء الإسلام ظهرت مدرستان فنيتان، كانتا صَدًا للمعارك الحربية التي كانت تدور بين المسلمين والمشركين.

- **مدرسة المدينة:** تمثل شعر الدعوة الإسلامية، ومؤيدا لها، من أبرز أسمائها: **حسان بن ثابت، كعب بن مالك الأنصاري، عبد الله بن رواحة،** تميّز شعراؤها بالمزج بين القديم (الجاهلي) والجديد (الإسلامي) مع تباين بين شعرائها في ذلك.

- **مدرسة مكة:** هي معادية للمدرسة الأولى، من أبرز شعرائها: **أبو سفيان بن الحارث، عبد الله بن الزبعرة، الحارث بن هشام**...؛ حيث أظهروا كيدهم الشديد للنبي - صلى الله عليه وسلم- وقد أسهم الإسلام في إظهار الشاعرية القرشية التي لم تكن بارزة قبل ذلك.

اندمجت المدرستان بعد الفتح لتصبحا مدرسة فنية واحدة، فتوالى شعراء مكة على النبي يعتذرون منه نحو ما فعل: **الحارث بن سفيان، عبد الله بن الزبعرة** الذي قال:

يا رسول المليك إن لساني	رائق ما فتقت إذ أنا بور

وقصيدة "كعب بن زهير" الشهيرة من هذا القبيل (**بانت سعاد**)
انتشر الشعر في صدر الإسلام من خلال:

1- معارك الهجاء بين المدينة من جهة، ومكة والقبائل العربية الأخرى من جهة ثانية. وذلك في السنوات الأولى للهجرة، وخاصة بعد غزوات بدر (**2 هـ**)، أحد، الخندق.
2- **وفود القبائل:** التي كانت تتوافد لمبايعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد الفتح: كان كل وفد يصحب معه شعراءه؛ حيث كان هؤلاء ينشدون بين يدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعض الشعر، سُمي هذا العام بعام **الوفود**.
3- **المناقضات اليهودية الإسلامية**: اشتد الخلاف بين المسلمين واليهود في المدية، وراح بعض اليهود يشببون بنساء المسلمين على نحو ما فعل **كعب بن الأشرف**.
4- **حروب الردة** التي ظهرت في بداية عهد أبي بكر الصديق (**12 هـ**): وفيها تعالت أصوات الشعراء، بعضهم يدافع عن الإسلام والخلافة، وآخرون يُمجِّدون الخروج عن الخلافة مثل: **الحطيئة**.
5- **الفتوحات الإسلامية** التي بدأت منذ خلافة الصديق: وامتدت إلى مصر وإفريقيا. شكَّل هذا الشعر: **الشعر الإسلامي الناشئ**.
6- **الحروب الأهلية**: بدأت في خلافة عثمان، واستمرت إلى سقوط الحكم الراشد باغتيال علي بن أبي طالب وقيام السلطة الأموية مع انتصار معاوية.

ولعل الظاهرة التي تلفت الانتباه في شعر صدر الإسلام هي: **كثرة المراثي** نظرا لكثرة الحروب والقتلى من المسلمين والمشركين على حد سواء.

يمكن تحديد بيئات الشعر في صدر الإسلام فيما يلي:

1. **البيئة الحضرية:** وتضم:

أ/ شعر الدعوة: مقره المدينة المنورة.

ب/ شعر المعارضة: مقره مكة والطائف. ويمثله (**أمية بن الصلت**) ووراءهما شعر اليهود الذي يمثله: **كعب بن الأشرف**...

2. **البيئات اليهودية:** وفيها نميز بين نوعين من الشعراء:

أولهم: يضم الشعراء المتأثرين بالإسلام تأثرا واضحا مثل: **العباس بن مرداس، كعب بن زهير**، والنابغة الجعدي.

ثانيهما: يمثله شعراء بدت عليهم بعض الملامح الإسلامية **كالحطيئة، سحيم عبد حسحاس، وعبدة بن الطيب**.

أخذ الشعر يتّجه إلى المدن شيئا فشيئا، وشعراء البادية يميلون تدريجيا إلى أحد المعسكرين المتخاصمين.
إن قارئ شعر البادية في صدر الإسلام لا يكاد يشعر بفارق كبير بينه وبين شعر ما قبل الإسلام؛ إذ استمرّ شعراء البادية يسيرون على نهج سابقيهم في بناء القصيدة، ملتزمين بجُلِّ تقاليدها: المقدمة الطللية، الرحلة، بتشعباتها الثلاثة: نعت الناقة، نعت الصحراء، سرد قصص الحيوان الوحشي. ليصلوا إلى الغرض الرئيسي فيها. وقد كان **"كعب بن زهير"**على رأس المحافظين على بناء القصيدة التقليدية.

شعر الفتوح

ظهر شعر الفتوح مرافقا للفتوحات الإسلامية، التي بدأت من خلافة أبي بكر الصديق، والتي اتجهت شرقا وغربا، وقد كان دافعها العامل الديني والرغبة في نشر الإسلام.
لاحظ الباحثون أن شعر الفتوح يختلف عن سابقه في عصر ما قبل الإسلام فهو لا يزيد عن 10 أبيات، يخفف فيها الشاعر من النظام التقليدي للقصيدة، من مقدمات بأشكالها المختلفة، وكذا الرحلة بشعبها العديدة. يدور النص في غالب الأحيان حول غرض أو غرضين، وهو ما تفرضه ظروف الحرب ومعطياتها التي لا تسمح بالإطالة.

تُصنَّف الأغراض الشعرية في شعر الفتوح ضمن فئتين هما:

1- فئة تشمل الأغراض القديمة المتطورة:

يتم الوقوف ضمن هذه الفئة عند غرضين هما: شعر **الرثاء**، و**شعر الجهاد**. فهما غرضان عريقان، منحهما شعر الفتوح صبغة جديدة.

- **شعر الجهاد:** وهو الشعر الذي يقال في تمجيد المحاربين، وتصوير المعارك، وكل ما يتعلق بالحروب. وهو منتشر بكثرة في شعر الفتوح؛ حيث يركز الشاعر على قضية الإيمان بمسألة الجهاد، والاستبسال في الدفاع عن الدين، والتضحية بالروح فداءا لذلك.

- **الرثاء:** مجد من خلاله الشعراء الشهداء، فهو يلتقي مع الرثاء الجاهلي في الحزن والأسف على الفقيد، إلا أنه يخالفه في التسليم بقضاء الله، والامتثال لإرادته، واستحضار ما أعده الله للشهداء (نظرة إسلامية للموت).

كما ظهر عنصر جديد في رثاء شعر الفتوح، وهو رثاء المجاهدين لأعضائهم وأشلائهم، التي يفقدونها في الحرب، مفتخرين ببذلها في سبيل الله.

2- فئة تشمل الأغراض الجديدة المستحدثة:

أسهم في ظهورها طبيعة حياة الفاتحين في البيئة الجديدة، بعيدا عن أوطانهم. منها:

أ/ وصف البيئة الجديدة: يركز في وصفه على كل غريب نحو : برودة الجو (الثلج)، أهل البلاد المفتوحة، الحيوانات (الفيلة)، وصف الأوبئة (الطاعون)، وصف الأطعمة وتعداد أنواعها.

ب/ الشكوى من عمال الدولة: وفيه يسلطون الضوء على اضطهاد هؤلاء العمال للناس، وعلى الضرائب التي يرهقون بها كاهل العامة. محتكمين في ذلك إلى روح الإسلام، من ذلك قول **يزيد بن الصعق:**

نؤوب إذا آبوا ونغزوا إذا غزوا	فأنى لهم وفر وليس لنا وفر

ج/ شعر الحنين: عكَس هذا اللّون الشعري أصدق المشاعر، وهو شعر وليد للفتوحات الإسلامية الشرقية.

اتسم هذا الشعر بجملة من الملامح منها :

- الهروب إلى الطبيعة والتماس العزاء في أحضانها، التواصل مع الطير.
- التقاء الغزل بالحنين.
- اقتران مشاعر الغربة بمشاعر الموت.

وقد كان لبحر **"الرجز"** نصيب واسع في كل أغراض شعر الفتوح، عدا شعر الحنين الذي لا يتلاءم ومشاعر الحزن، وما يصاحبه من بوح شجي.

3- خصائص شعر الفتوح: يتلخص شعر الفتوح فيما يلي:

أ- اشتماله على المعاني والقيم الإسلامية، والالتزام بروح العقيدة.

ب- الإيجاز والقصد إلى الفكرة، دون إسهاب أو مقدمات كما هو الحال في باقي الأغراض في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام.

ج- التزام الشعراء بوحدة الموضوع. فجلُّ شعر الفتوح مقطّعات شعرية تتضمن كل واحدة غرضا واحدا.

د- تميُّزه بالعفوية الصادقة التي تعبر عن الروح الجهادية.

ذ- السهولة والوضوح، والخلّو من الصنعة والتكلّف.

ر- التعبير عن الروح الجماعة الإسلامية التي ذابت فيها العصبية القبلية.

ز- اشتمال شعر الفتوح على أخبار الجيوش، وحركاتها وانتصاراتها، والقبائل التي شاركت فيها، وعلى عادات البلاد المفتوحة، وتقاليدها، وأديانها... لذا فهي سِجلٌ تاريخي حافل بأخبار مهمة من تاريخ الدولة العربية الإسلامية.

تنبع قيمة شعر الفتوح من كونه التعبير الأدبي عن الحياة الإسلامية في عصر صدر الإسلام، إذ صوّر الأثر الذي تركه الإسلام في نفسيّة العربي، كما رسم صورة رائعة لانطلاقة الفتوحات الإسلامية.